مجلة عصور الجديدة– فصلية صنف ج- المجلد 10 – العدد 1 (مارس) 1441هـ/2020م
ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

الرواية الشفوية ودورها في كتابة تاريخ الحركة الوطنية والثورة

The oral novel and its role in writing the history of the national movement and the revolution

اسم ولقب المؤلف المرسل: بلعريبي نورالدين- Belaribi Noureddine صص430- 444
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر ب في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة جيلالي بونعامة- خميس مليانة/البريد الإلكتروني: n.belaribi@univ-dbkm. dz

تاريخ استقبال المقال: 2019/12/28 تاريخ المراجعة: 2020/01/20 تاريخ القبول: 2020/02/26

الملخص: الشهادة الشفوية هي مصدر مهم لتاريخ الأحداث، من هنا تكمن أهمية الشهادة الشفوية في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية والثورة، بخاصة في الفترة الممتدة ما بين 1962/1954؛ فقبول شهادة التاريخ الشفوي كمصدر ليس خيارًا فحسب، بل هو ضرورة تفرضها منهجية البحث التاريخي، والتي يفرضها منطق العجز في العثور على الوثيقة لمعرفة السياق التاريخي والتفاصيل، إنها الحاجة الملحة والضرورية للوصول إلى الحقيقة أو الاقتراب منها، وإن حجم الكتابات التاريخية بالأقلام الجزائرية؛ خاصة تلك المتعلقة بالفترة الذكورة؛ مازالت ضئيلة بالمقارنة مع الكتابات الاستعمارية عامة والفرنسية بالذات خاصة، وحول الثورة بشكل دقيق، وظلت الاستفهامات تطرح، ومازالت حول كتابة تاريخ المرحلة، بخاصة ما تعلق بالقضايا المفصلية، والتي تثير الكثير من الجدل، وقد يعود ذلك إلى عاملين أساسيين: الأول يتعلق بتكالب المدرسة الاستعمارية القائمة على معاداتها وإنكارها لهذه الأمة وتضحياتها وقدراتها ورغبتها في الانعتاق والتحدي، لذا ما انفكت في بث سمومها المغرضة حتى بعد الاستقلال منكرة على هذه الأمة تضحياتها، أما العامل الثاني فيكمن في عجز وضعف المدرسة الوطنية الجزائرية في التصدي لتلك الادعاءات، وعدم جرأة الذاكرة الجماعية وهشاشتها أحيانا، وتعرضها للاستلاب والاختراق أحيانا أخرى.

الكلمات المفتاحية: الرواية الشفوية، الحركة الوطنية الجزائرية، الثورة الجزائرية، التوثيق التاريخي.

PDF Creator Trial

Abstract: *oral witness is an important source of the history of events. From there, the importance of oral testimony lies in the history of the Algerian national movement and the revolution, in particular in the period between 1954/1962. The acceptance of oral history testimony as a source is not only an option, but rather a necessity imposed by the methodology of historical research, imposed by the logic of disability in Find the document to discover all the historical context and the details. It is the urgent and necessary need to reach or approach the truth. The size of the historical writings in the Algerian enclosures, in particular those linked to the period of masculinity, is still small compared to the colonial writings in general, and to the French in particular, and to the revolution in a precise way. This may be due to two main factors: the first concerns the demands of the colonial school based on its hostilities, its denial of this nation, its sacrifices, its capacities and its desire for emancipation and challenge, so that it always spread its malicious poisons even after independence, denying its sacrifices to this nation. As for the second factor, it lies in the incapacity and weakness of the Algerian National School to respond to these allegations, the lack of audacity, of collective memory, its fragility at times, and its vulnerability to penetration and penetration. at other times.*

Keywords: Oral witness; Algerian National Movement; Algerian Revolution; Historical Document ation.

1- المقدمة: كتابة تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية من الأمور الشديدة التعقيد، لارتباط جزء كبير من هذا التاريخ بالحاضر السياسي المعاش، كما أن الذين ساهموا في صناعة الحدث مازالوا على قيد الحياة، وتمثل رواياتهم الشفوية ملاذا للكثير من المؤرخين الذين وجدوا أنفسهم مجبرين على اللجوء إلى الرواية الشفوية، وبخاصة أمام شح المادة الأرشيفية بسبب وجودها في الخارج، ومصاعب التنقل إلى هناك أو بسبب التكتم عن تلك المادة أحيانا.

الأمر الذي أجبر الكثير من المؤرخين على اللجوء إلى الشهادات الشفوية التي أصبحت تشكل ملاذا في حقل المعرفة التاريخية، حيث يعتبرها الكثير من المؤرخين وسيلة لملأ الكثير من الفراغات المعرفية التي يخلفها غياب الوثيقة، غير أن الرواية الشفوية تبقى فعلا بشريا تعتريه الكثير من النقائص، وذلك بسبب الخلط الذي يقع في نفوس رواتها لأسباب كثيرة متعلقة بضعف الذاكرة أحيانا، أو بسبب الذاتية أحيانا أخرى، أو بسبب الحساسيات، الأمر الذي يجعل فكرة البناء التاريخي بالاعتماد على الرواية الشفوية تعترضه الكثير من المصاعب والفراغات التي تعرقل هذه العملية، ومع ذلك تبقى الرواية الشفوية ذات أهمية بالغة، بخاصة وأن هؤلاء الذين صنعوا أحداث الثورة يرحلون عنا

PDF Creator Trial

يوما بعد يوم، وبموتهم تموت معهم الكثير من الحقائق التي تمثل تفسيرا للكثير مما يقع في هذا الوطن؛ فالتاريخ الراهن ما هو إلا امتداد لترسبات الماضي، ومن هنا يمكن طرح جملة من التساؤلات منها:

كيف نستطيع الاستفادة من الرواية الشفوية في كتابة تاريخ الثورة؟ وكيف يمكن التحقق منها؟ وكيف تستطيع الرواية الشفوية تغطية العجز الذي يعاني منه المؤرخون في تدوين الذاكرة الوطنية وبشكل صحيح؟ وما هي الضوابط التي يمكن اللجوء إليها للتحقق من تلك الروايات؟ وما دورها في عملية البناء التاريخي في الجزائر؟ وفي كتابة تاريخ الصراعات التي عاشتها الثورة داخليا وخارجيا؟

2- مفهوم الرواية الشفوية وتطورها:

2. 1- المفهوم العام: إن تاريخ الثورة الجزائرية الذي كُتب بأقلام جزائرية اعتمد على الرواية الشفوية التي دونت عادة من قبل الذين صنعوا أحداثها سواء أكانوا أصدقاء أم خصوم في شكل مذكرات أو سير ذاتية أو أشرطة سمعية أو سمعية بصرية تحتفظ بها أجهزة الإعلام المختلفة بما فيها المكتوبة أو أفلام سجلت وصنعت عن تاريخ الثورة...، ومن هنا وجدت تعريفات مختلفة للرواية الشفوية، ومع ذلك يمكن إعطاء تعريف بسيط للرواية الشفوية؛ "فهي تلك الأخبار المتواترة عن أحداث تاريخية ماضية غير مدونة يتناقلها الأحفاد عن الأجداد، ويتم تداولها داخل المجتمع"[1].

لقد نقل الدكتور نبيل سلامة من قاموس لاروس (Larousse) أنَّ التراث الشَّفهي هو: "مجموعة التقاليد من أساطير ووقائع ومعارف ومذاهب وآراء وعادات وممارسات"[2]، أمَّا قاموس روبير فيُعرِّف التراث الشفهي بأنه: "انتقال غير مادي للمذاهب والممارسات الدينية والأخلاقية المتوارثة من عصر إلى آخر بواسطة الكلمة المنطوقة"[3]، ويزداد الأمر تعقيدًا عندما ننظر في التعريفات، إذن كيف نشأت وتطورت عبر العصور؟

2-2: **تطور الرواية الشفوية**: اعتمد التاريخ الشفهي في بداياته الأولى على روايات شهود العيان لأحداث معينة، حتى تطور علم التاريخ أكاديميا، وكانت بداية التدوين التاريخي تعتمد أساسا على المادة الأرشيفية ومدى توفرها، وبوجود بعض الثغرات توجّه المؤرخون إلى الرواية الشفوية لتغطية ذلك النقص، ومن ثم كانت البدايات المحتشمة في تقبل الرواية الشفوية وإن بشكل تدريجي، وبذلك شرع في تسجيل الشواهد الشفهية[4]، ومن

PDF Creator Trial

العوامل التي ساعدت على تطور هذه المادة تطور وسائل التسجيل السمعي والمرئي للأشخاص والأحداث، الأمر الذي أحدث ثورة في عملية التدوين التاريخي؛ فجميع المكتبات في العالم وبخاصة منها الكبرى أصبحت تهتم بهذا النوع من التأريخ، وذلك بخلق أقسام على مستوى تلك المكتبات، متخصصة في المجال السمعي البصري، والجزائر واحدة من تلك الدول التي أصبح لها اهتمام بهذا المجال رغم خطاه الوئيدة، وللمؤرخين هنا دور فعال في إعطاء العملية دفعا قويا نحو الأمام.

وإذا عدنا إلى ما قبل هذا التاريخ وجدنا أنَّ العصر الحديث قد شهد نشاط حركة الاستفادة من المأثور الشفهي في ميدان التاريخ منذ القرْن الثاني عشر الميلادي في أوروبا، ونتج عن ذلك النشاط تأليف كُتب تاريخية هامة مثل نظام الحوليات، ومؤلَّفات عن تاريخ المدن وتاريخ الأسر الحاكمة، ثم ضعفت الحركة في القرن التاسع عشر لأن "... شريحة عريضة من المؤرخين، لاسيما أولئك المنتسبين الى المدرسة المنهجية ظلوا حتى وقت قريب جدا يرفضون الاعتراف بالرواية الشفوية...، واصفين إياها بالتفاهة والهزال"[5]، أمَّا في أمريكا فقد استمرَّ الاهتِمام بالتراث الشفهي؛ لأنَّه يُشكل المصدر شِبْه الوحيد للسُّكَّان المحلِّيِّين والمهاجرين على حدٍّ سواء، وبحلول القرن العشرين ازداد الاهتمام بالمأثور الشَّفهي في ميدان التاريخ، ولم يطْلع فجر عقد الستينيات من ذلك القرن حتى برزت حركة علميَّة قويَّة بقيادة يان فانسينا وغيره من المؤرِّخين والأنثروبولوجيين والفولكلوريين، تدعو إلى اعتِماد المأْثور الشَّفهي مصدرًا من مصادر التاريخ[6]، ومن هذا المنطلق يمكن أن يتذكَّر المرء أقوال آخرين يُشيدون بأهميَّة التراث الشفهي، كقول فيدر (A. Feder): "إنَّ المأثورات يَجب أن تكون مقبولة لأنَّها تستحق الثقة"[7].

3. 2- **مصادرها**: إن الاهتمام بالتاريخ الشفوي للثورة الجزائرية يقوم أساسا على جمع المذكرات الخاصة بتلك الشخصيات التي ساهمت في صناعة أحداث الثورة الجزائرية، وهنا يمكن تسجيل مأخذ على تلك التسجيلات التي اهتمت فقط بالشخصيات البارزة، والتي كان تأثيرها ودورها وسمعتها بارزة خلال الثورة وحتى ما بعدها[8]، ومقابل ذلك طال الإهمال الشخصيات العامة، والتي بدورها كان لها تأثير فاعل وبارز إلا أنها همشت وأقصيت من العملية لسبب أو لآخر، وبذلك غابت الكثير من الحقائق بتغييب تلك

PDF Creator Trial

الفئة، وعانت بذلك عملية البناء التاريخي من فراغات وطرحت علامات استفهام كبيرة لا يمكن الإجابة عليها إلا بالعودة إلى تلك الفئة، وإعطائها حقها في الشهادة الشفوية، وبالتالي في كتابة التاريخ باعتبارها شريكا أساسيا ومكملا لكتابة التاريخ وتدوينه بصفة كاملة وصحيحة[9].

لذلك إذا أردنا الاعتماد في كتابة التاريخ الوطني على الرواية الشفوية يجب أن ننطلق من القاعدة؛ لأن بطولات وأمجاد تلك الشخصيات البارزة لم تكن لتصنع لولا بطولات القاعدة الشعبية التي أبلت بلاء حسنا في صنع أمجاد الثورة؛ بل إن نجاح الثورة كان متوقفا أساسا على القاعدة الشعبية، وهذا بشهادة أبطال الثورة، وبشهادة الفرنسيين في كتاباتهم التاريخية أنفسهم، ومن هنا لا يمكن بأية حال الاستغناء عن الرواية الشفوية لتلك الفئة لتدوين ما أهمله التاريخ والمؤرخين، كل ذلك انطلاقا من المقولة التاريخية "التاريخ من القاع"[10].

إن التاريخ ليس هو الذي ترويه الصفوة فقط، ومن هنا يجب أن يكتب التاريخ في سياق الجماعة، أو ما يصطلح عليه في التاريخ بسيرة الحياة أو تاريخ الحياة التي هي أوسع مجالا وأكثر تنوعا وأقرب صدقا، لا لشيء سوى لكونها تعتمد على الذاكرة الجماعية لأمة كاملة[11]؛ فهي التي صنعت الأحداث وروته، عكس المذكرات الشخصية التي هي أقرب إلى السيرة الذاتية في أغلبها، إذ أنها أقل شمولية واتساعا من الذاكرة الجماعية؛ فسيرة الحياة أو تاريخ الحياة أكثر اتساعا وأكثر شمولية؛ فهي تحليل منظم لكل المعلومات المدونة أو المسجلة عن شخص، وهي رؤية جماعية تجمع العلاقات والارتباطات بين الأحداث وتطور شخصية ذلك الشخص[12]، أما الرواية الشخصية أو المذكرات الشخصية فهي لا تغدو كونها سرد لحياة شخص عن نفسه وبنفسه؛ فهو يروي في شهاداته وقائع، ويجد لها تفسيرات انطلاقا من مزاجه ووسطه القريب من حياته دون النظرة الشاملة والعامة، ولابد هنا من النظر إلى تلك الروايات الشخصية أو ما يصطلح عليه بالمذكرات بعين فاحصة وواعية، والتأكد من مدى خلوها من الذاتية[13].

ومن خلال متابعة ذلك كله لا يفوتنا محاولة التأكد من سلامة ذاكرة ذلك المتحدث أو كاتب السيرة أو المذكرات، وتلكم مشكلة أخرى من المشكلات التي تعترض التاريخ الشفهي، ومن هنا كان لزاما على المؤرخ الذي يعتمد على الروايات الشفوية التأكد من

PDF Creator Trial

القدرات الصحية للراوي، كما يجب اختبار القدرات العقلية لتلك الروايات الشخصية، وذلك بقياس درجة وعي الكاتب لسيرته، ووضوح رؤيته لحياته ومحيطه بعيدا عن النرجسية والذاتية، أو عن أي تحيز شخصي أو توجهات إيديولوجية، وبخاصة إذا علمنا أن الكثير من الأشخاص الذين ساهموا في صناعة الثورة كانوا منحازين للإيديولوجيات التي عاصرت الثورة، ومن ثم كانت رواياتهم مزيجا بين الوطنية والإيديولوجيات الفاعلة والمؤثرة آنذاك، ومن ثم فهي ليست تاريخا مسلما به بل "أثرا للواقعة على عقل ناقلها أو شاهدها...، وبالتالي يكون تقدير قيمتها من تقدير الجوانب الخفية في شخصية صاحبها"[14].

1.3- أهمية الرواية الشفوية وشروطها:

3. 1- يبدو أن أهمية التاريخ الشفوي واستعماله باعتباره مصدرا تاريخيا تزداد في الآونة الأخيرة، ويلقى رواجا في الأوساط العلمية، ولعل ما أخّر دخول التراث الشفهي إلى دائرة التاريخ أن المؤرخين ينظرون إلى ذلك التراث نظرة بسيطة، ويعتبرونه جزء من الأدب الشعبي الذي لا يمكن الركون إليه، وتتجلى أهمية الرواية الشفوية كمصدر أصيل في عملية التركيب والبناء التاريخي فيما توفره للباحث من إمكانية تجعل منها نصا لا يقل مكانة وقيمة عن النصوص الأخرى، ومن هنا يمكن ذكر بعض جوانب الرواية الشفوية من خلال الجدل حول الطرح الذي يرى أن الرواية الشفوية هي التاريخ البكر أو المادة الأولية لكتابة التاريخ، وانطلاقا من ذلك فإن أي تزييف أو تحريف للرواية الشفوية يعتبر تزييفا وتحريفا لعملية البناء التاريخي برمته، ومن هنا فالأجدر أن يتخذ المؤرخ من الرواية التاريخية وسيلة وليست منهجا للتاريخ الشفهي، وعليه فإن الروايات الشفوية لهؤلاء الذين صنعوا أحداث الثورة ما هو إلا أداة مساعدة للاكتشاف والاستكشاف والتقويم للذاكرة الجماعية، حيث أن الروايات الشفوية تبعث في المؤرخ الفضول الذي يدفعه إلى المزيد من التنقيب والحفر في الذاكرة الجماعية، وهدفه من كل ذلك الوصول إلى الحقيقة[15].

إن الإشكاليات التي تطرح على المؤرخين عندما يريدون الأخذ والعمل بالرواية الشفوية الشخصية والعامة في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، تؤثر في العلاقة بين الذاكرة والتاريخ، وبين الوعي الفردي والوعي الجماعي، إنها إشكالية ستظل مطروحة أمام

PDF Creator Trial

المؤرخين في أعمالهم التركيبية للتاريخ باعتبار العملية (التاريخ الشفهي) مصدر من مصادر المعلومات الأساسية عن الحياة التي عاشتها الأمة أثناء الحقبة الاستعمارية سياسيا واجتماعيا، الأمر الذي يعطي أكثر من تفسير لأحداث الثورة.

تعتبر الرواية الشفوية مكملا أساسيا للنصوص والوثائق، لكونها تقوم بتغطية ما يعتريها ويشوبها من نقائص، كما بإمكانها أن تقدم وجهة نظر مغايرة[16]، وهي أيضا مصدرا تاريخيا أساسيا يمكن اعتماده في إعادة بناء الأحداث التاريخية للثورة ووقائعها؛ فشعوبنا مازالت تقدس الكلمة، وتعيش في مضمون الذاكرة الجماعية[17].

وهناك الكثير من المؤرخين الغربيين الذين يدافعون عن الرواية الشفوية، وذلك لما يرون فيها من طرح لإشكاليات كبيرة ذات مصداقية، ومدى صحة ما تقدمه من كم هائل من المعلومات، كما أنها تساعد على معايشة الماضي من جديد بفضل الأحداث التي ترويها، وتظل المصدر التاريخي الأساسي الذي يمكن اعتماده في إعادة بناء الأحداث التاريخية المتعلقة بالثورة، وبذلك- رغم التشكيك والتهويل الذي أحيطت به- فهي تستحق مزيدا من الثقة[18].

عند عجز الوثائق الرسمية المكتوبة والمادة الأرشيفية في إظهار الحقيقة التاريخية، تعطى الفرصة الأكبر للشهادة الشفوية لإظهار تلك الحقائق التي غُيّبت إما بسبب انعدام الوثيقة أصلا واختفائها لسبب أو لآخر؛ فالفعل الثوري حتّم على أصحابه، وبحكم السرية التي أحيطت بها الثورة، تجنب استخدام الوثائق حذرا من انكشاف أمرها للعدو، أو بسبب عدم كفايتها التفسيرية أو لوجودها في أوعية يصعب الحصول عليها لاعتبارات كثيرة، وهنا يقف المنهج التاريخي الصارم الذي يعمل بمبدأ "التاريخ حقائق ووثائق" غير قادر على الاستمرار لأنه سيتناقض مع مبدئه.

من المعروف أنّ الأرشيف الوثائقي للثورة الجزائرية في معظمه موجود في فرنسا أو ألمانيا، وبخاصة المصوّر منه أو في سويسرا، أما نصيب الوطن منه فهو قليل، ومن هنا فإنه من "الخطأ الاعتقاد أنه بالإمكان الاكتفاء بتطبيق المنهج التاريخي الكلاسيكي، الذي يعتمد أساسا على الأرشيف الوثائقي؛ فالواقع يؤكد لنا يوميا مدى الصعوبة التي يجدها الباحث في العثور على وثائق تخص البحث في بعض المواضيع، ومنها بشكل خاص الأحداث التي عرفتها الثورة الجزائرية داخل البلاد"[19].

PDF Creator Trial

وعندها يصبح العمل بالشهادات الشفوية شرطا بل ضرورة ملحة لتغطية ذلك العجز الحاصل عند عملية البناء التاريخي بسبب ضياع الوثيقة التي تعتبر السند الضروري للمؤرخ الجزائري المهتم بكتابة تاريخ الثورة؛ فإن توظيفها يستوجب الحيطة والحذر اللازمين، ويقتضي ضرورة إخضاعها لفحص دقيق، بل إن الأمر يتطلب أحيانا تعزيز هذا النوع من النصوص بمصادر أخرى، ومن هنا يمكن استخلاص بعض جوانب الرواية الشفوية مما يلي:

- نستطيع بفضل الروايات الشفوية استكمال عملية البناء التاريخي التي بدأها المؤرخون في كتاباتهم حول تاريخ الثورة، والتأكد من مدى صحتها وتصويب مزالقها.
- تدخل الرواية الشفوية في تغيير بعض الكتابات التاريخية التي لم تكن لتخلو من طابع الذاتية والإيديولوجية والمصلحة أو موجهة أحيانا؛ لذا كانت بعيدة عن جادة الصواب، ومن هنا دور الرواية الشفوية في تصحيح وتصويب ما وقع فيه المؤرخ من هفوات.

إن الاستعانة بالرواية التاريخية الشفوية بعد إخضاعها لمعايير السلامة والتصويب والتحقق كما فعل المسلمون عند روايتهم للأحاديث إذ كانوا يهتمون بالإسناد والرواة[20]، أما مؤرخو الغرب فعملية البحث في المجال التاريخي الشفوي أو خلال عملية جمع الرواية الشفوية تمر بثلاثة مراحل متتالية وفق طرق علمية يمكن تلخيصها كما يأتي:

3- 2- مراحل وطرق جمع الرواية الشفوية: تمر عملية جمع الروايات الشفوية بالمراحل التالية:

1- مرحلة جمع المادة من مصادرها الشفهية.

2- مرحلة تصنيف ما تم جمعه وفهرسته، وإيداعه في أرشيف خاص.

3- مرحلة الدراسة والتحليل والتدقيق، وإخضاع الشهادة لمعايير المصداقية، من حيث قدرة الشاهد ومؤهلاته العقلية عند الإدلاء بالشهادة، ومدى العلاقة التي تربطه بالحدث المروي، وأطرافه وحدود استعداده للتجرد من ذاتيته، ورواية الواقعة بجميع المعطيات التي يملكها، وقد لا يكون هذا الأمر متاحا بشكل مطلق، كما أن قياس هذه المعايير ليس ميسورا، وهو يعتمد على حدس المؤرخ، والدفع بالشاهد من خلال الحوار الذكي، والأسئلة الكاشفة ليقدم كل ما عنده، وإحضار الذاكرة وترسباتها.

أما جمع المادة الشفهية فيتم بثلاث طرق هي:

PDF Creator Trial

أ- طريقة الملاحظة (Observation).

ب- طريقة المشاركة (Participation).

ج- طريقة المقابلة (Interviews).[21]

ولإنجاح هذه العملية لابد على الباحث أن يتسلح ببعض المعارف والعلوم المساعدة، كما عليه أن يطلع على الموضوع المبحوث عنه من مختلف الوثائق والأرشيفات والمصادر حتى يستطيع مساعدة صاحب الشهادة على استرجاع ذكرياته، كما يمكنه استفزازه بأسئلة يستطيع الباحث من خلالها الحفر والتنقيب في ذاكرة المستجوب، كل ذلك من شأنه أن يساعد على الاستفادة من صاحب الشهادة إلى أقصى حدّ ممكن، ومن ثم نستطيع تجميع أكبر قدر ممكن من الحقائق، كما نستطيع تفسير أحداث الثورة بأبعادها المختلفة الدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ لأن الثورة كانت شاملة، وذلك ما نستشفه من خلال بيانها الذي يعتبر بحق بطاقة تعريف شخصية لها، ومن ثم نستطيع بناء قاعدة صحيحة تنطلق منها الأمة بعيدا عن مؤثرات وترسبات الاستعمار.

4- ضوابط ومعايير الرواية الشفوية:

4- 1: بالنسبة لمصدر الشهادة: ومن هنا لابد من وجود مجموعة من الضوابط والمعايير عند الأخذ والعمل بالرواية التاريخية الشفوية، وذلك حتى تكون منهجية البحث سليمة أو أقرب إلى الصواب، ومن الأجدر قبل الأخذ بالرواية الشفوية طرح استفهام حول كفاءة ذاكرة هؤلاء الذين يدلون بشهاداتهم للتاريخ، وذلك بإجراء عملية تقصّي ومقارنة بين ما هو مكتوب في مختلف المصادر وبمختلف اللغات، وحول ما إذا كانت المقابلة مصدرا أساسيا في عملية البناء التاريخي أم أنها وسيلة تكميلية أو تفسيرية في هذه العملية[22].

ومن هنا يجب على المؤرخ الصادق في نقل الرواية الشخصية أن يتأكد من سلامة لغة الراوي، وأن كلامه خاليا من التناقضات التي تخفي الكثير من العيوب التي قد تنسف الرواية برمتها، أي أن لا يكون الراوي غير معرض لضغوط نفسية أو سياسية عند إفادته؛ فتلك الضغوط قد تدفع به إلى الكذب أو التأويل تحقيقا لغايات نفسية أو إرضاءً للطرف الضاغط الذي يسعى دوما لصناعة تاريخ يخدم ميوله أو يحقق مصالحه؛

PDF Creator Trial

إذ أن الكثير ممن صنعوا أحداث الثورة هم في سدّة الحكم، وليس من مصلحتهم كتابة تاريخ صحيح قد يكشف حقائق لا تخدمهم.

كما يجب التأكد من العلاقة السليمة الموجودة بين الراوي والمجتمع، إذ أن الكثير من أصحاب الرواية الشفوية تربطهم علاقات ضعيفة بالمجتمع، أو يعانون من عدم تجانس أو انسجام مع المجتمع البسيط، وربما ينكرون فضائل العامة عليهم، ومن ثم فإن الأخذ برواياتهم الشفوية يكون على حساب قاعدة عريضة للثورة، وهذا الإهمال لتلك القاعدة الشعبية يجعل من عملية البناء التاريخي عملية عرجاء، كما يجب أن يخضع جمع تلك الروايات وتسجيلها- قبل استغلالها- إلى نقد تاريخي بنّاء لاختيار الروايات التي من شأنها أن تشكل مصدرا للتاريخ، ولاشكّ أن استغلالا من هذا النوع وبهذا الشكل يتطلب تكوينا وعملا ضخما[23].

4- 2: **عنصر المقابلة**: (العناصر المحاورة): هو أهم عنصر في هذه المعادلة الصعبة إذ تتوقف عليه مصداقية المقابلة برمتها، حيث أنّ جمع الشهادة من الصعوبة بمكان ما لم تتوفر جملة من الشروط، حيث اشترط المؤرخون جملة من الشروط لتحويل الرواية الشفوية إلى رواية مدونة، وهم محقون في ذلك طالما أن أغلب التراث الشفوي يحمل في طياته تناقضات كثيرة مقارنة بالتاريخ المدوّن، من ذلك أن أغلب الروايات الشفوية تسودها ثلاثة مفاهيم ثقافية مهمة هي: افتقارها لمفهوم القياس الزمني، وعدم الوضوح في الفكرة التاريخية المطروحة، والنظر إلى الماضي بمثالية كبيرة، ويعتبر هذا إحدى المشكلات التي تواجه البحث في التاريخ الشفوي[24] إذ أن الذين صنعوا أمجاد الثورة وبطولاتها هم قبل كل شيء بشر معرضين في الكثير من الأحيان إلى الزلل والبعد عن جادة الصواب.

ومن هنا يجب أن يتوفر في هذا العنصر المستوى والتخصص، وإتقان اللغات الأجنبية، وحتى اللهجات المحلية لان عملية الترجمة قد تخضع إلى التحوير والتدوير، ولهذا كان لزاما على عنصر المقابلة أن يتقن اللغات التي يحاور بها صاحب الشهادة دون اللجوء إلى طرف آخر قد يوقعه في الغلط عند الترجمة.

كما يجب على عنصر المقابلة أن يكون على دراية بالإطار الجغرافي والتاريخي الذي مارس فيه صناع الحدث نشاطهم الثوري، كما يجب أن يتوفر في المؤرخ حدسا حيا

PDF Creator Trial

يجعله يتمكن من التمييز بين الغث والسمين، وبين الصواب والخطأ، وتوفر المؤرخ على هذه الميزات من الصعوبة بمكان لذا لا نستغرب ذلك التناقض الموجود بين المؤرخين من خلال مواقفهم حول الكثير من الحقائق التاريخية المتعلقة بالثورة وبعض الأخطاء التي ارتكبت أثناء كتابتها، والتي هي محاطة بنوع من التكتم والتستر وأحيانا بالتدليس؛ إن لم نقل التزوير تحقيقا للمعتقد السائد أن النفوس لم تبرد بعد.

لذلك وُجدت هذه المعارضة لفكرة الاعتماد على الرواية الشفوية في كتابة التاريخ، ومن ثمّ وجدنا المؤرخين الجزائريين يميلون أكثر إلى النصوص والوثائق والأرشيفات المخزنة في خزائن فرنسا رغم عناء وتكاليف السفر، يضاف إلى ذلك أن تلك الوثائق والأرشيفات صدرت وكتبت من قبل المنتصرين، والذين راعوا مصالحهم وأوطانهم فقط، ورغم أن الجميع يؤمن بذلك إلا أنهم يحنون إلى ذلك؛ إنها نفسية الإنسان التي تتوق لا شعوريا إلى الأقوى، ويرون أيضا أنه في ظل غياب حجج مادية ملموسة فليس هناك تاريخ، لأن اعتماد المؤرخ على الرواية الشفوية من شأنه أن يقوده إلى المزالق[25]، في حين يرى بعض الباحثين أن وفرة هذه الشهادات تساهم في سدّ فراغ الوثائق المفقودة، ولاسيما أن الشهادات الشفوية تتجاوز الكلام المحظور، أو أي ممنوع آخر في المجتمعات العربية، ومن الواضح أن الشهادات الشفوية في الجزائر عن الثورة هي نصوص ناطقة تروي سنوات الرصاص، كما أنها إرادة معلنة لتسجيل صفحة الماضي الأليم.

كما يجدر بالمؤرخ أن يعتمد على الرواية الشفوية النسوية التي طالما تعرضت للتغييب؛ فالنساء وما تعرضن له بسبب ذكورة المجتمع العربي من إهمال لدورهن خلال الثورة؛ فموقع المرأة في الرواية الشفوية قوي إن لم نقل إنه طلائعي، وذلك نظرا للدور الذي قامت به أثناء الاستعمار الفرنسي للجزائر، وبخاصة خلال الثورة حين كن ينتظرن أمام معابر الاحتلال بدلًا من الرجال، ويحملن الرسائل والعقود والأموال والسلاح إلى المقاومة في الفيافي والجبال، كما أن المرأة هي التي أطعمت وسهرت على التمريض، ودفعت بفلذات أكبادها إلى المعركة، وهي التي حلّت مقام الرجل في الكثير من المهام؛ فالمجاهدين عادة ما كانوا في المخابئ والفيافي والصحاري بعيدا عن نظر جيوش المستعمر بينما كانت المرأة دائما في الواجهة، وكثيرا ما دفعت الثمن غاليا[26]، ومن هنا فإنه من المؤسف اعتبار البعض أنها مجرد خسائر جانبية تعرضت لها النساء، والاقتصار على

PDF Creator Trial

روايات وأحاديث الرجال، وبذلك همّش جزء كبير من التاريخ، وأهمل عن قصد أو غير قصد؛ فالمرأة حتى الآن لم تكن بطلة في التاريخ الشفوي، لكنها أكثر خوضًا في التفاصيل، وتتميز بذاكرة قوية في سرد الحوادث[27].

كما لا يجب أن نهمل دور المهاجرين الجزائريين في فرنسا خاصة؛ الذين يعتبرون جزءا من الذاكرة الوطنية؛ إذ أن هؤلاء واجهوا تحديات اجتماعية وثقافية وعنصرية، وكانت الحياة اليومية لتلك العائلات منذ وصولها إلى فرنسا، وعمل الرجال من هذه الأسر في مهن محفوفة بالمخاطر تحط من قيمتهم كبشر، الأمر الذي جعلهم جزء من الثورة إذ كانوا من صناعها في فرنسا، وكانت مشاركتهم دفعا قويا، ومن هنا لا يمكن أن تنسى هذه الفئة في مجال الرواية الشفوية[28].

5- **النتائج وتحليلها**: وخلاصة القول أنه إذا فكر أي مؤرخ أنه بإمكانه أن يكتب تاريخ وبطولات هذه الأمة؛ فذلكم من ضرب الخيال، وإذا فكر أن ما يكتبه محققا مقطوعا بصحته؛ فإنه لن يستطيع أن يكتب أي تاريخ.

يجب أن لا نقصي أحدا، وبخاصة هؤلاء الذين لم تسعفهم الظروف للإدلاء بشهادتهم، أو أن الظروف المتعلقة بالحياة أو النظام لم تسعفهم لسردها، يضاف إلى ذلك أنه حتى تلك الشهادات التي سجلت يعوزها الكثير من التنظيم والمنهجية اللازمة حتى تصبح عملية؛ فثمّة مواضيع عديدة مازال الخوض فيها من الصعوبة بمكان، أو ما يصطلح عليه بالتاريخ المسكوت عنه كقضية جيش الحدود، ودوره في الثورة، وأسرار اتفاقيات أيفيان، وأحداث ملوزة الأليمة، والعلاقة بين العسكري والسياسي، وتأثير ذلك على الثورة وما بعد الثورة، وأخطر تلك الأحداث التي لم يفصل فيها التاريخ على الإطلاق العلاقة بين جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني من جهة، والعلاقة بين الحركة المصالية أو الوطنية وجيش التحرير الجزائري من جهة أخرى، ومدى مساهمة الحركتين في الثورة الكبرى، ودور بلونيس وجنرالات فرنسا... وغيرها من القضايا.

وبناء على ما سبق فإنه على جيل الاستقلال أن يصغي لرواد الوطنية بما في ذلك رجال الحركة الوطنية (MNA) ومواقفهم من فرنسا الاستعمارية ومن الثورة المباركة، ومدى مساهمتهم في العمليات العسكرية، وإذا ما تمّ ذلك فستكون مساهمة فعالة في رفع الحظر عن رواية "الحركة الوطنية المصالية"، وعن غيرها من القضايا التي أصبحت

PDF Creator Trial

وإلى وقت قريب مرادفة للخيانة والخطيئة بقصد أو بغير قصد، وبدافع تغريبي سرق من هذه الأمة أمجادها، وسرق منها تاريخها، وسعى إلى زرع بذور الشقاق والخلاف في أسس هذه الأمة، ووجد المستعمر في بعض أذنابه، وما ادّعوه عن الرجل وأتباعه من افتراءات وأباطيل لتضليل العامة أنه الاستلاب الاستعماري في أسمى معانيه.

إن الجمهور المتلقي للرواية المصطنعة لأكثر من ستين سنة اكتسب نوعا من المناعة، لأنه لم يكن يسمع غير رواية الشيوعيين ودعاة البربرية، والسائرين في ركب فرنسا...؛ فلا ضرر بعد كل ذلك من أن يستمع إلى رواية المصاليين، المنافس والخصم الذي لم يحالفه الحظ، وخانته التحالفات الداخلية والخارجية.

إن الاستماع إلى رواية المغلوب لا يعني الطعن في رواية الغالب، بل يعني فقط أن الحقائق التاريخية من الثراء والعمق والشمولية بحيث يتطلب تسليط الأضواء عليها، والإحاطة الكافية بها، وعدم الاقتصار على رواية جبهة التحرير التاريخية وحدها.

إن الاستماع إلى الروايتين، ورغم ما تحملانه من تباعد في الرؤى إلى درجة التناقض أحيانا، يصحح الأفكار المغلوطة، ويؤدي حتما إلى مصالحة حقيقية مع الذات، وتخليص التاريخ الجزائري من السموم التي دسّها المستعمر في عقول الجزائريين، والتي لطالما أدت إلى انقسامهم، وهو أمر لا يساعد على بناء الأمة على أسس متينة.

إن الاعتماد على رواية المنتصر لا تساعد في كتابة تاريخ حقيقي، كما أنه يُفقد قوة وتأثير هذه الرواية الأحادية لأنّ الضد يظهر حسنه الضد.

خاتمة: يكتب التاريخ بالأصول، وهو المرتكز والملاذ للوصول إلى الحقائق؛ فإذا ما ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها؛ فليس هناك من سبيل يسلكه المؤرخ أو الباحث من أجل البناء التاريخي على أسس سليمة سوى ما بقي من الآثار، وهذه الآثار هي الروايات الشفوية التي تتوقف عليها عملية البناء التاريخي.

تعتبر الشهادات التاريخية إضافة جديدة في تعزيز مكانة البحث والبناء التاريخي حقيقة أو الابتعاد عن الصواب والدخول في التزييف ربما من حيث لا ندري، لذا يجدر بنا التقيد بآليات وضوابط منهجية تمكننا من الفصل بين الحقيقة والزيف، وتساعدنا في التمييز بين الذاتية والموضوعية.

PDF Creator Trial

عندها فقط تصبح الرواية الشفوية مصدرا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه لما تحمله من معطيات دقيقة، إلا أن ذلك يتطلب منا التعامل معها وفق معطيات علمية ومنهجية دقيقة تجنبنا الانزلاق في متاهات فقدان الحقيقة.

إن إرساء معالم الأمة على أسس سليمة يستوجب الانتباه إلى ألغام الاستعمار القديمة والجديدة من أجل التخلص من العقبة التي عطلت عجلة التقدم؛ فمازالت الشكوك قائمة حول التاريخ الوطني، لذا من الضروري الاستماع إلى الروايتين: رواية المنتصر ورواية المنهزم، الرواية الرسمية والرواية المحظورة، وعندها نستطيع الخروج من دوامة الخلاف، وينتهي الجدال حول رموز الوطن، والذي يعتبر مصالي الحاج واحدا منها، ولذلك على الجميع أن يساهم في إرساء جسور الثقة بين المتخاصمين، وأن يتعرف أكثر على هذه الشخصية، وبدرجة أكبر التعرف على قناعاتها الثورية ومآثرها وتضحياتها، ويبقى من حق كل جزائري أن يطالب بمحو النسيان وإظهار الحقيقة وإنصاف الرجال، إنها رسالة الجيل الصاعد من المؤرخين والباحثين؛ فعلى الجميع أن يتحلى بالشجاعة التي تمكن من كتابة موضوعية لتاريخ هذه الأمة.

الهوامش:

1- مسعود ضاهر- التأريخ الأهلي والتأريخ الرسمي- دراسة في أهمية المصدر الشفوي- مجلة الفكر العربي- السنة 4- العدد 27- مايو- يونيه 1982م- ص185- وما بعدها.

2- نبيل جورج سلامة- التراث الشفوي في الشرق الأدنى ومنهجية حمايته- وزارة الثقافة السورية- دمشق، 1986م- ص39- وما بعدها. ---- 3- نفسه، ص60.

4- ميلاد المقرحي- الرواية الشفوية والمصادر المدونة- ج2 - مجلة قار يونس العلمية- السنة الثالثة- العدد الثاني- بنغازي- 1990م- ص45.

5 - فتحي ليسير- تاريخ الزمن الراهن – ط1 – دار محمد علي للنشر - تونس 2012 –ص 122.----- 6- نفسه- ص -107 .

7- والترا أونج- الشفهية والكتابة- ترجمة حسن البنا عز الدين- سلسلة عالم المعرفة- العدد 182- الكويت- 1994م- ص290 وما بعدها.

8- يان فانسينا- المأثورات الشفهية- دراسة في المنهجية التاريخية- ترجمة أحمد علي مرسي- دار الثقافة للطباعة والنشر-القاهرة- 1981م- صص33- 55.

9- محمد مجاود- أهمية المنهج الشفوي في الكتابة التاريخية - مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية- عدد خاص- ديسمبر 2012- ص-10.

10- رابح لونيسي- منهج التعامل مع الشهادات والمذكرات عند كتابة تاريخ الثورة الجزائرية (شهادات بن يوسف بن خدة_نموذجا)- مجلة عصور- العدد 6-7- جوان- ديسمبر 2005- ص22.----11- محمد مجاود- المرجع نفسه- ص10.----12- ليسنر- مرجع سابق- ص122.

13- محمد المازوني- من قضايا البحث التاريخي مقدمات أولية- جامعة ابن زهر- أكادير- المغرب- 2012- ص11.

PDF Creator Trial

14- من الذين تركوا لنا مذكرات والتي هي في الأصل عبارة عن شهادات شفوية حية نذكر: أحمد بن بلة – محمد بوضياف-بن طوبال – بوصوف -علي كافي –الشاذلي بن جديد. . . إذ لا أحد ينكر دور هؤلاء الأبطال في الثورة المظفرة لكن مع ذلك أولا وقبل كل شيء هم بشر ومن ثم لا يمكن أن نسلم بكل ما كتبوا.

15- فليب جوتار- التاريخ الشفوي- ترجمة محمد حبيدة- الاتحاد الاشتراكي- عدد 4768- 1996/9/18- ص12.

16- عبد الله العروي- مفهوم التاريخ- الألفاظ والمذاهب- المركز الثقافي العربي- 1992- ج1 ص107.

17- عبد الله بن إبراهيم العسكر- أهمية تدوين التراث الشفوي كمصدر- دراسة منشورة على الموقع الالكتروني لجامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية- تاريخ المعاينة: 19-2015/10/6- ص5.----18- رابح لونيسي- المرجع نفسه- ص24.----19- رابح لونيسي- المرجع نفسه- ص22.

20- ديفيد هينج- التاريخ الشفهي- ترجمة ميلاد المقرحي- مركز دراسة جهاد الليبيين سلسلة الدراسات المترجمة- 20 طرابلس 1991م- ص55 وما بعدها.----21- فانسينا- مرجع سابق- صص33-55.----22- لونيسي- مرجع سابق- ص22.

23- عياش جرمان- أي منهاج لكتابة تاريخ المغرب؟- مجلة أمل- التاريخ الثقافة - العدد1- السنة الأولى- 1992- ص10.

24- جوتار- مرجع سابق- ص12.----25- العروي- مرجع سابق- ص108.

26- نبيل جورج سلامة- التراث الشفوي في الشرق الأدنى ومنهجية حمايته- دمشق- وزارة الثقافة السورية- 1986. ص 123.----27- محمد المازوني- المرجع نفسه- ص25.

28- يوم دراسي من تنظيم كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الخميس مليانة وبمشاركة المتحف الوطني للمجاهد يوم 11أكتوبر 2015، صرحت ممثلة عن المتحف أن هذا الأخير يتوفر على أكثر من ستة آلاف شهادة حية مسجلة، وأن المتحف بصدد ترتيبها وفهرستها لجعلها في متناول الباحث.

PDF Creator Trial